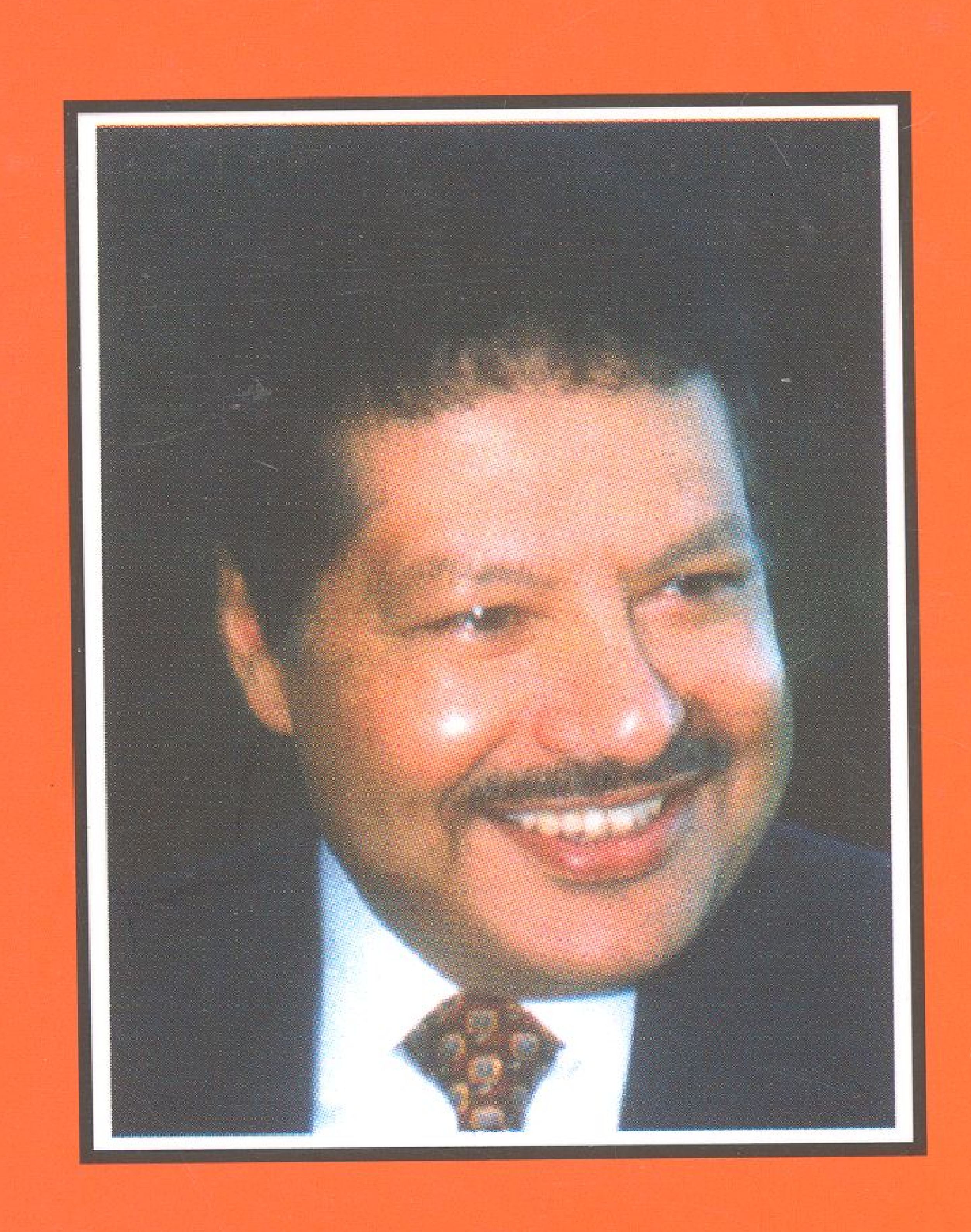
محاضرات



أحمد زويل

حوار الحضارات

دار الشروق

حوار الحضارات

الطبعـــة الأولـــى
١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م

• المحاضرة ألقيت فى مقر منظمة اليونسكو فى باريس .

• النص الأصلى للمحاضرة Dialogue of civilizations: Making Histoy through New world Vision.

• ترجم النص إلى العربية د. مصطفى محمود سليمان أستاذ الجيولوجيا فى جامعة الزقازيق.

٨ شارع سيبويه المصرى
مدينة نصر - القاهرة - مصر
تليفون: ٤٠٢٣٣٩٩
فاكس: ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
email: dar@shorouk.com
www.shorouk.com

محاضرات

أحمد زويل

حوار الحضارات



حوار الحضارات

تحت عنوان «العلم والمتطلبات الروحانية Science and the Spiritual Quest» عُقد مؤتمر اليونسكو لعام ٢٠٠٢م فى باريس، مركزاً على البعد الروحانى، وهو مجال يقع خارج نطاق العلم واهتماماته، وبالمثل تنصب هذه المحاضرة، والمبنية على المحاضرة التى ألقيتها فى هذا المؤتمر، على الأبعاد الواقعة خارج نطاق العلم، وبالتحديد مسألة تواجدنا كبشر فى حضارات وثقافات متباينة، قد تجد أو لا تجد نفسها فى حالة من التناقض والصدام، وإنى كعالم أرى فى هذه المسائل قضايا معقدة، إلا أنها التعقيدية التى تستلزم طريقة منطقية جديدة ومنفتحة، للفهم والاستيعاب فى بحثنا عن التفاهم الإنسانى وبحثنا عن الحقيقة والمعارف الجديدة من خلال العلم، بالإضافة إلى إدراكنا وفهمنا لمغزى وقيمة الحياة من خلال الإيمان. وتُشكل خبرتى حتى الآن بثلاث ثقافات على الأقل وهى المصرية والعربية الإسلامية ثم الأمريكية، هاديًا ومرشدًا لأفكارى واهتماماتى.

بالنظر والتفكير فى القرن الجديد وعالمه المضطرب وجدنا بعض المفكرين قد أدخلوا مفاهيم معينة من مثل «صدام الحضارات Clash of Civilizations» الذى قال به صمويل هانتنجتن، و«نهاية التاريخ End of History» الذى أطلقه فوكوياما، وناقش كل من المؤلفين فكرته بإيمان راسخ، برغم أن هذه الأفكار مثيرة للمناقشة والجدل والخلاف، وكعالم فإنى لم أجد أساسًا فيزيائيًا أو فلسفة طبيعية أساسية لتلك المفاهيم، وبتعبير آخر ليس هناك مبدأ أو قانون

أساسى فى الحضارات يجعلها فى حالة صدام مع بعضها البعض، كما لا يوجد قانون أساسى يحتم نهاية التاريخ بنظام واحد على حساب جميع الأيديولوجيات.

وأحاول أن أبرهن هنا على أن الخلل فى النظام العالمى المعاصر إنما هو ناجم جزئيا عن الجهل بالحضارات أو التذكر الانتقائى للماضى والافتقار إلى رؤية الأشياء وفقًا لعلاقاتها الصحيحة، وجزئيا عن البؤس الاقتصادى والظلم السياسى اللذين يعانى منهما «عالم الذين لا يملكون»، والذين يشكلون نحو ٨٠٪ من سكان العالم فى كل القارات ومختلف الثقافات. تلك هى الحواجز التى تحول دون الوصول إلى حالة متقدمة من النظام العالمى، فإذا ما تخطينا تلك الحواجز، فإننا سوف نصل إلى وضع أفضل فى حوار الحضارات.

حوار أم صدام

لفظ «الحضارة civilization» يعنى فى التعريف القاموسى حالة متقدمة لمجتمع إنسانى ترتقى فيه الثقافة والعلم والصناعة وأسلوب الإدارة والحكم، وعلى المستوى الفردى نكون متحضرين حينما نبلغ وضعًا أو حالة متقدمة نتمكن فيها من الاتصال بالآخرين من ذوى العادات والثقافات والديانات المختلفة وأن نحترمهم، وإجمالا نتحدث عن العولمة كأداة لجلب الرخاء الاقتصادى فى العالم، ومع ذلك فإن العولمة لا يمكن أن تصبح فكرة عملية إذا ما كانت هناك صدامات بين الحضارات، ويحدثنا التاريخ عن العديد من الحضارات التى تزامنت فى الوجود بدون أن تقع بينها صدامات ذات شأن خطير.

والحجة الرئيسية فى أطروحة صمويل هانتنجتن عن صدام الحضارات هى أنه فى فترة ما بعد الحرب الباردة فإن الاختلافات الجوهرية بين البشر ليست

اختلافات أيديولوجية أو سياسية أو اقتصادية إنما هي اختلافات أو فوارق ثقافية، وشدد على نقطة معينة هي أن الناس يحددون أو يعرفون أنفسهم بلغة الأنساب والدين واللغة والتاريخ والأهمية والعادات والأعراف والنظم الاجتماعية، وقسم العالم إلى ثماني حضارات كبرى هي: الغربية، الأرثوذكسية، الصينية، اليابانية، الإسلامية، الهندوسية، اللاتينية الأمريكية ثم الإفريقية.

وأرى العديد من الصعوبات في هذا التحليل، وربما توضح التساؤلات والتعقيبات التالية موقفي من هذه القضية: أولا ما هو الأساس الذي بني عليه تقسيم هذه الحضارات؟

لقد تمرس الناس المنتمون لحضارات مختلفة على ثقافات متباينة (ولا يزالون كذلك)، وقد تتأثر الأمم في القارة نفسها بحضارات مختلفة، وفي حالتي من الميلاد حتى وقتنا الحاضر، فإنه بإمكاني أن أعرف نفسي كمصري وعربي ومسلم وإفريقي وآسيوي وشرق أوسطي ومتوسطي (ذو علاقة بشعوب البحر الأبيض المتوسط) ثم أمريكي.

فإذا ما نظرنا عن قرب إلى واحدة فقط من تلك الحضارات فإني ألاحظ أن المصريين ينتمون إلى حضارة فعالة أي متميزة بفاعلية مستمرة أو تغير مستمر، ذات تراث حضاري متعدد الثقافات: فرعونية وقبطية وعربية وإسلامية بالإضافة إلى تأثير الفارسية والهلينستية والرومانية ثم العثمانية. وينطبق هذا القول على الحضارة الأوربية والحضارة الأمريكية وآخرين في مختلف القارات. والثقافات الغربية في أوربا وأمريكا واستراليا ثقافات بعيدة عن التماثل والتجانس، فإذا ما أخذنا في الاعتبار عدد الثقافات في أوربا والولايات المتحدة لوجب علينا أن نتوقع حدوث صدام حضارات في داخل الحضارة الواحدة، بدون النظر إلى السبع حضارات الأخرى التي ذكرها

صمويل هانتنجتن. وفى حقيقة الأمر فإن القوى التى تربط الثقافات والحضارات ليست ناتجة عن مثل هذه التقسيمات البسيطة.

وثانى التساؤلات هو: هل من الضرورى أن تنشأ التصادمات بسبب الفوارق الثقافية؟ يقول صمويل هانتنجتن، إذا ما فقدت الولايات المتحدة الأمريكية تراثها الأوربى (اللغة الإنجليزية والدين المسيحى والمذهب البروتستانتى) وعقيدتها السياسية (ممثلة فى الحرية والمساواة) تعرض مستقبلها للخطر، ومن وجهة نظرى الشخصية فأنا لم أكن أتحدث الإنجليزية حينما جئت إلى الولايات المتحدة، ولست مسيحيًا، ولم أدرس المذهب البروتستانتى، ومع ذلك فقد دمجت نفسى فى ثقافة مجتمعى الأمريكى الجديد مع احتفاظى بثقافتى أو بالأحرى ثقافتى الأصلية، واعتقد أن ثقافتى الشرقية والغربية قد استفادت من ذلك التزاوج الثقافى دون أن يقع بينهما صدام. ومن منظور أكثر رحابة فإن قوة أمريكا إنما تكمن تقليديًا فى كونها «البلد البوتقة melting pot» (التى ينصهر فيها المهاجرون على اختلاف أعراقهم وثقافاتهم فى مواطنية واحدة). وقد أُثريت الأمة الأمريكية، ولا تزال، بتعدد الأعراق وتنوع الثقافات لمواطنيها، ونتيجة لذلك كان التسامح بين أتباع الديانات والثقافات المختلفة جزءًا من نسيج الحضارة الأمريكية، فإذا ما تهيأ للناس العيش فى نظام دستورى سليم تسود فيه الحرية والمساواة، لم تعد الصدامات بين المواطنين شيئًا أساسيًا، وإن ظلت مشكلات أخرى قائمة.

وفي نطاق العلاقات الدولية لا يتضح لى سبب تحصيل الحضارات قوتها من خلال «الاستعمار» على حساب الآخرين، ويمكن للثقافات والحضارات أن تكون فى قمة ازدهارها وفى نفس الوقت تتعايش فى تآلف وتوافق مع غيرها، وحتى يمكن أن تتمم تلك الحضارات بعضها بعضا. وتعد الولايات المتحدة واليابان وأوربا أمثلة لذلك التعايش النافع القائم على جسور اقتصادية

وثقافية، ومفتاح الوصول إلى هذه الحالة لدولة ما هو أن تكون جزءا من نظام عالمى متعاون يحافظ على الحرية الإنسانية والعدل وأن تنفذ قراراتها وأعمالها وفق خطة محددة. وقد يصعب الوصول إلى ذلك والتسليم به إلا أننى اعتقد أنه بإمكان قيادة واعية ذات رؤية عالمية أن تجعله فى حيز التنفيذ.

وثمة تساؤل أخير وهو: وماذا عن ديناميكيات الثقافات أو حركيتها؟ فالثقافات ليست كيانات ساكنة أو راكدة، إنما تتغير باستمرار مع الزمن، وتنضبط درجة تغيرها بعوامل أو قوى سياسية واقتصادية، ودعنا نأخذ موطنى الأصلى بعين الاعتبار، فالحضارة المصرية قد ظهرت منذ فجر التاريخ الإنسانى، وسادت العالم آلاف السنين، لكنها أصبحت فى وقتنا الحالى دولة نامية، ولا يعنى ذلك أن مصر قد فقدت حضارتها، ولكنها، مثل غيرها، قد تغيرت مع الزمن بفعل عوامل أو قوى داخلية وخارجية، أو بمعنى آخر فإن الحالة المعاصرة لم تنشأ بسبب نقص بشرى أو خلل جينى أو ما شابه ذلك، إنما جاء نتيجة للتغيرات غير المواتية للزمن بالنسبة لهذه الحضارة وأبنائها.

هناك أمثلة أخرى معروفة جيدًا للتغيرات الثقافية فى أوربا وأجزاء أخرى من العالم، غير أن ديناميكيات تلك التغيرات قد تختلف من مكان لآخر - والاختلاف هنا هو اختلاف فى المقاييس الزمنية والقوى التى أحدثت هذا التغير، ومع ذلك فإنه لا يمكننا أن نعزى ديناميكيات التغير فى جميع الحالات إلى الأحوال الداخلية وحدها لأى من تلك الثقافات، ويجب أن نأخذ فى الاعتبار دور التفاعلات السياسية والاقتصادية فى داخل الثقافة وبينها وبين الثقافات الأخرى المعاصرة لها. وعلى سبيل المثال فثقافة الناس الأساسية فى كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية ثقافة متماثلة، ولكن التباين فى الرقى والتقدم بين الكوريتين عظيم، والذى يعزى إلى عوامل اقتصادية وسياسية. وينطبق نفس القول على ألمانيا بشطريها قبل أن يتحدا.

إن سكان العالم الذين لا يملكون والذين لديهم ديناميكيات خاصة بهم، لم يكونوا كذلك طوال تاريخهم، فخلال العصور الوسطى الأوربية، وهى الفترة التى شهدت قمة ازدهار الحضارة الإسلامية، كان معظم الأوربيين لا يملكون have-nots أما الآن فإن معظم دول العالم الإسلامى إما دول نامية أو فى سبيلها إلى ذلك (دول متخلفة) وتضم قطاعا عريضا من السكان الذين لا يملكون وقد يعزى البعض ذلك إلى عيب أو خلل فى قيم ومبادئ الدين الإسلامى وهذا خطأ.

وقد يكون من المفيد بالنسبة لى كمسلم مثقف (برغم أننى لست متخصصا فى العلوم الإسلامية) أن ألقى ضوءا على بعض مبادئ الإسلام وحضارته الديناميكية، والتى يساء فهمها، وهذا من المناسب أيضا بالذات بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر سنة ٢٠٠١م المأساوية فى نيويورك وواشنطن وآثارها وارتباطها فى عقول كثير من الناس بالإسلام.

الإسلام ومبادئه

ما هو الإسلام؟ الإسلام هو دين وطريقة حياة لنحو خمس سكان العالم، فهناك ١,٣ بليون مسلم فى العالم اليوم، ويشكل العرب نحو ٢٠٪ من تعداد المسلمين فى العالم، و٥٪ من العرب غير مسلمين. وفى عام ١٩٧٠م كان هناك نصف مليون مسلم فى الولايات المتحدة الأمريكية، أما اليوم فيتراوح عددهم من ستة إلى سبعة ملايين، ٢٣٪ منهم ولدوا فى الولايات المتحدة. وكلمة «الإسلام» كلمة عربية تتضمن معنيين: السلام والخضوع والتسليم لله رب العالمين، ويعتبر الإسلام نفسه متمما ومكملا للديانات السماوية السابقة له، اليهودية والمسيحية، فالديانات الثلاث هذه تسمى ديانات التوحيد

الإبراهيمية، والله تعالى يأمر المسلمين ويحضهم على احترام الناس جميعا، ويصف اليهود والمسيحيين بأنهم أهل الكتاب، ذلك أنهم يعبدون إلها واحدا، ونزلت عليهم الكتب المقدسة (التوراة عبر موسى، والإنجيل من خلال عيسى)، ومحمد (ص) هو نبى الإسلام، وهو من نسل إبراهيم عبر إبنه إسماعيل عليهما السلام.

هناك مفهومان أساسيان فى الإسلام، المفهوم المتعلق بوحدانية الله، ثم «الإسلام كطريقة أو أسلوب حياة» بشقيها الدنيوى والدينى. ويشكل هذان المفهومان لب أو جوهرة العقيدة الإسلامية، وتشبه مجموعة القواعد والقوانين الإسلامية المتعلقة بالمبادئ الأخلاقية مثيلاتها فى المسيحية واليهودية. ويقر ويسلم المسلمون بالتزامات رئيسية تسمى بأركان الإسلام الخمسة، وفى التطبيق العملى أو الممارسة فإنه بطبيعة الحال قد تجد المسلمين وقد تقيدوا بهذه الأركان بدرجات متفاوتة، وتقع مسئولية الوفاء بتلك الالتزامات على أكتاف كل فرد بذاته. وأركان الإسلام هى: الشهادة (شهادة لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله) والصلاة والزكاة، وصوم رمضان وحج البيت الحرام بمكة لمن استطاع إليه سبيلا مرة واحدة على الأقل فى العمر. ويقر ويسلم المسلمون أيضا بالشريعة وهى مجموعة القوانين الإسلامية المستمدة من السنة النبوية (أفعال وأقوال الرسول) والحديث الشريف والقرآن الكريم.

والقرآن هو الكتاب المقدس فى الإسلام، ويؤمن المسلمون بأنه كلام الله أنزله على النبى محمد من خلال جبريل. وتستخدم كلمة «الله» بواسطة كل العرب، المسلمين والمسيحيين واليهود. وقد أنزل الله القرآن على النبى محمد مجزءا، متضمنا قضايا وتفصيلات متعددة، خلال ثلاثة وعشرين عاما، وهى المدة التى قضاها الرسول من نزول الوحي حتى وفاته. ولأن القرآن هو كلام الله فقد بقى فى لغته الأصلية حرفيا، كلمة فكلمة وحرفًا فحرفًا، وبمجرد أن

ينقل القرآن أو يترجم إلى أية لغة، فإنه عندئذ لا يسمى قرآنا، لأن الكلمات السماوية المباشرة قد حلت محلها كلمات بشرية، وإنما يسمى تفسيرا أو ترجمة لمعاني القرآن.

ولقد كان لبلاغة القرآن وأسلوبه الأدبي الفريد من القوة حتي شكلت معجزة فذة لا تضاهي بالنسبة للعرب الأولين، ويبدو أسلوب القرآن مشتركا في بعض هيئته مع الروح الشعرية، إلا أنه يتحدى الوصف، ولا يعد شعرا ولا نثرا، إنما هو طراز فريد خاص بذاته. ويشكل ذلك مشكلة لبعض القراء غير المسلمين الذين يميلون إلى أسلوب الكتاب المقدس في روايته للتواريخ والأحداث مرتبة ترتيبا زمنيا. وهناك قصة واحدة فى القرآن (قصة يوسف) التى جاءت مرتبة ترتيبا زمنيا.

وقد حدد القرآن أسلوبا واضحا لكى يحيا الإنسان حياة سليمة لا عوج فيها، ولم يترك القرآن أمرا من أمور الحياة، من العلم والتكنولوجيا ومن المهد إلي اللحد. وأول كلمة أنزلها الله على الرسول هى كلمة «اقرأ» (أول آية في سورة العلق) وفي القرآن عدد كبير من الآيات التي تؤكد على أهمية المعرفة والعلم وطلب العلم. وتلقى مكانة العلماء فى الإسلام، بجانب الأنبياء والصديقين، عظيم الاحترام. ويوجه القرآن دعوة لكل البشر هي: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة: ٢).

ومن المفجع والمأساوى فى آن واحد أن بعض المتعصبين والبعض فى وسائل الإعلام يسيئون إلى الإسلام ويحرفون مبادئ الإسلام وقيمه من خلال مصطلحات وتعبيرات من قبيل الجهاد والإرهاب، فكلمة «الجهاد» على سبيل المثال تترجم حاليا بطريقة روتينية بمعنى «الحرب المقدسة» وعلى وجه الخصوص نوع الحرب المقدسة التى يمارسها المسلمون ضد غير المؤمنين، ويبتعد هذا الأسلوب كثيرا جدا عن المفهوم الصحيح للجهاد فى الإسلام،

فبحسب قاموس لسان العرب، فإن كلمة الجهاد المشتقة من الفعل «جهد» تعنى ببساطة بذل غاية ما في الوسع من مجهود، ويتضمن المعنى اللاهوتى (*) theological connotation لعبارة «غاية ما فى الوسع من مجهود، أو أقصى مجهود»، هو العمل بجد واجتهاد من أجل الإصلاح والتحسين فى معركة الجهاد مع النفس من أجل الرفعة والارتقاء الذاتي والارتقاء إلى مرتبة عالية من السمو والطهارة والاستنارة. وفى مصر على سبيل المثال فإن كلمة «مجتهد» بالنسبة لتلميذ أو طالب علم تعنى أن هذا الطالب يبذل ما فى وسعه لتحصيل دروسه وإنجاز مهامه الدراسية على أكمل وجه. وهناك نماذج أخرى من الجهاد منها استخدام القوة الاقتصادية لتحسين أحوال المحتاجين والفقراء ثم الجهاد البدنى ضد الظلم والجور والاضطهاد. كما يستخدم مصطلح الجهاد أيضا للتعبير عن الحرب التى تشن لخدمة الدين وأهدافه. الجدير بالذكر أن القرآن قد حدد الجهاد البدني فى آيات محددة ﴿ **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾ (البقرة: ١٩٠). بمعنى أن الحرب تكون عادلة ومبررة حينما تكون حربًا دفاعية فقط. وجاء فى القرآن أيضًا ﴿ **وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ (الأنفال: ٦١)، فالحرب ليست من أجل قهر وسحق الخصوم، ويجب التمسك بالسلام فى أقرب فرصة، ولهذا التأكيد أهمية بالغة بالنسبة للمسلمين، ذلك أن تحيتهم العادية هى«السلام عليكم» ولا يترك سلام الإسلام حيزًا للإرهاب، الذى يختلف شكلا وموضوعًا عن الجهاد، فالإرهاب عمل مدان ومستنكر إنسانيا.

(*) اللاهوت: يراد به الخالق، وعلم اللاهوت علم يبحث فى الخالق وصفاته وعلاقاته بمخلوقاته - ويقابل علم التوحيد عند المسلمين (المترجم).

حضارة محبطة

بصفة عامة لا يتذكر الغرب إلا القليل عن الدور الحيوى الذي لعبته الحضارة الإسلامية وبخاصة فى أسبانيا، إحدى مراكزها الحضارية الهامة، فى الوقت الذى كانت فيه أوربا غارقة فى عصور الظلام Dark Ages . وإنى أشك فى أن رجل الشارع في نيويورك أو لوس أنجلوس أو لندن أو باريس على علم الآن بمدى ما كانت عليه الحضارة الإسلامية من تقدم وازدهار فى العصور الوسطى، فقد أمدت هذه الحضارة العالم بمعارف جديدة فى العلوم والفلسفة والادب والقانون والطب وغيرها من فروع المعرفة، ومن أمثلة الإضافة العظيمة في نهاية الألف الميلادية الأولى إضافات ابن سينا والمعروف جيدا بأعماله فى الطب ويعرفه الغربيون باسمه المحرف «Avicenna» وإضافات ابن رشد فى الفلسفة والقانون، ويعرفه الغربيون باسمه المحرف «Averroes» وإضافات جابر بن حيان في الكيمياء والذى يعرفه الغربيون باسم «Geber»، وإضافات الحسن بن الهيثم في البصريات، والذي يعرف عند الغربيين باسمه المحرف «Alhazen» وعمر الخيام وهو شاعر ورياضى مشهور، ومحمد بن موسى الخوارزمى والمعروف بإضافاته العظيمة في علم الجبر (كلمة الجبر كلمة عربية) والذي يرتبط اسمه بمصطلح (البرمجيات) ومنه اشتقت كلمة «Algorithm» . وفى تتبعه ودراسته لتاريخ المنطقة وصف المؤرخ الأمريكي برنارد لويس الحضارة الإسلامية وصفًا حسنًا بقوله « . . . . . لقرون عديدة ظل العالم الإسلامي فى صدر الحضارة الإنسانية والتقدم» ويضيف هذا المؤرخ قوله« . . . وقد شيد الإسلام حضارة عالمية متعددة الأعراف والأجناس حتى إنه يمكن وصفه بالحضارة العابرة للقارات (intercontiental) . . . وكانت القوة الاقتصادية الأولى فى العالم . . . وقد بلغت أعلى مستوى فى تاريخ البشرية، فى فنون وعلوم الحضارة .

وإنى أشك أيضًا فى أن الناس يتذكرون أن التسامح كان مبدأ وسمة سائدة فى الحضارة الإسلامية، والتى تسمي بالحضارة الشرقية، ففى قمة ازدهار الحضارة الإسلامية عاش المسلمون واليهود والمسيحيون معا في سلام فى إسبانيا وبقية أرجاء العالم الإسلامى، أما فى الغرب الأوربى فقد قاسى اليهود كثيرا بسبب التفرقة في المعاملة والتعذيب الذى لا قوه من الأوربيين. ولقد كانت القاهرة ذات يوم المكان الذي درس فيه الفيلسوف اليهودى المشهور موسى ابن ميمون أعمال ابن سينا وقرأ أعمال أرسطو فى ترجماتها العربية والتي أنجزها مع غيرهم ومن بينهم العلماء العرب المسيحيون. وغني عن البيان القول بأن استخدام الأحداث المعاصرة فى عالمنا اليوم لتجاهل دور وإضافات الحضارة الإسلامية، بل والحطّ من شأن الإسلام وقدره، ونعته بعدم التسامح إنما هو ليس من مصلحة السلام العالمي والتقدم.

لسوء الحظ فإن بعض المشكلات التي تواجه العالم الإسلامي إنما هى من صنع المسلمين أنفسهم فكثير من أبناء العالم الإسلامى لا يعرفون رسالة الإسلام الحقيقية، ويستخدم بعض القيادات وبعض المتعصبين الإسلام لتعزيز مكانتهم الشخصية وطموحاتهم السياسية، وبالإضافة إلى ذلك يبتدع البعض أيديولوجيات جديدة باسم الإسلام، ويستخدمون تفسيراتهم للقرآن فى المناظرات والجدل لاستنزاف الطاقات البشرية والفكرية للمجتمع. وإنى أشك فيما إذا كان هؤلاء الأشخاص يفهمون حقا معني التنوير ودوره الحاسم الذي لعبه فى انتشار الحضارة الإسلامية ليس بين المسلمين فحسب وإنما فى العالم أجمع خلال ما يقرب من ألف عام، وربما نسى هؤلاء الناس أن القرآن قد أكد على مسئولية أفراد المجتمع الإنساني في العمل على تطوير وتحسين أنفسهم ومجتمعاتهم كما جاء في سورة الرعد **﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾** (الرعد: ١١).

واليوم يعانى العالم الإسلامى والعرب حالة من السخط والإحباط بسبب أوضاع ومشاكل داخلية بالإضافة إلى أوضاع ومشاكل سياسية واقتصادية عالمية، وبدافع من ماضيهم المجيد يتساءل المسلمون عن علة هذا الإخفاق، وكما تشهد مآثره الماضية فإن الإسلام في صورته الأصلية ليس مصدرا للتخلف والعنف، ولكن لا يمكن للمرء أن يتجاهل التأثير السلبى للاستعمار والاحتلال الحديث بواسطة القوى الغربية، وخيبة الأمل فى الانحياز للكتلة الشرقية أو الكتلة الغربية (الشيوعية ضد الرأسمالية) والذى فشل فى أن يثمر ازدهارا أو رخاء اقتصاديًا، كما لا يمكن للمرء أن يتغاضى عن المشاكل الداخلية والتى تنشأ فى الغالب من نظم وأساليب الحكم غير الديمقراطية والمدعومة فى أغلب الأحيان من الحكومات الغربية، علاوة على ذلك فإن المسلمين يرون من خلال وسائل الإعلام العالمية سيطرة وإزدهار الغرب والإذلال في فلسطين والبوسنة والشيشان، بالإضافة إلى أوضاعهم الاقتصادية غير الملائمة بالمقارنة مع بقية أرجاء العالم.

وإني لا أتفق مع فكرة نظرية المؤامرة، ومؤامرة الغرب ضد الشرق، ولا أعتقد أن كل المشاكل التي يعاني منها العالم الإسلامى هي من فعل الغرب، إنما أعتقد أن علي الغرب أن يساعد بدرجة أكبر، كما سيرد ذلك بشيء من التفصيل فى السطور التالية.

وقد ساعدت الحضارة الإسلامية الحضارة الغربية فى الماضى، ومن ثم فمن الواجب والإنصاف أيضا أن ترد الحضارة الغربية الجميل بالمثل الآن، زد على ذلك فإن طرقا جديدة لوسائل إتصال أفضل تعد مفتاحا لتقدم متواصل وتعايش سلمي بين دول ذات أنظمة مختلفة. وبنمو الشعور بالسخط والإحباط لدى عالم الذين لا يملكون والذين يربو عددهم على البليون نسمة، فإن العالم سيواجه تزايد مخاطر الصراع وعدم الاستقرار. وسوف تأتى مثل هذه الاضطرابات من مناطق خارج العالم العربى والإسلامى.

عالم الذين لا يملكون

يتصف توزيع الثروة فى عالمنا هذا بأنه توزيع منحاز، ومن ثم ظهور تمايز طبقى صارخ فيما بين الناس والمجتمعات والأقاليم. وتشير الإحصائيات إلى أن ٢٠٪ فقط من سكان العالم هم الذين يعيشون فى العالم المتقدم وينعمون بمباهج الحياة، وتزداد الهوة اتساعا وعمقا بين الذين يملكون والذين لا يملكون من أبناء العائلة البشرية، وهذا أمر يهدد استقرارنا وتعايشنا السلمى، ووفقا لبيانات البنك الدولي فإنه من بين الستة بلايين نسمة، وهم أعضاء العائلة البشرية أو سكان الأرض، يعيش ٤,٨ بليون نسمة فى العالم النامى، ويعيش ثلاثة بلايين على أقل من دولارين للفرد فى اليوم، ويعيش ١,٢ بليون علي أقل من دولار واحد للفرد يوميا، الأمر الذى يعرف حدود الفقر الذى يعيش فيه وبه قطاع عريض من سكان الأرض، وهناك نحو ١,٥ بليون نسمة لا تتوافر لهم مياه نقية كافية وما يصاحب ذلك من تعرضهم لمخاطر الإصابة بالأمراض المنقولة مائيا، كما أن هناك نحو ٢ بليون نسمة لا يزالون فى انتظار الاستفادة من مزايا الثورة الصناعية. ويبلغ إجمالي نصيب الفرد السنوي من الناتج القومى الإجمالى فى بعض بلدان العالم المتقدم الغربية نحو ٣٥ ألف دولار أمريكى بالمقارنة بنحو ألف دولار للفرد فى كثير من الدول النامية، وبالتأكيد يقل عن ذلك كثيرا فى الدول المتخلفة. وتفاوت مستويات المعيشة بمعامل يصل إلى المائة يولد فى النهاية استياء وعنفا وصراعا عنصريا وعرقيا. وهناك بالفعل شواهد على عدم الرضا والاستياء، ويكفى أن نلقى نظرة على المناطق الحدودية بين الدول المتقدمة والدول النامية أو المتخلفة (كما هو الحال فى أمريكا وأوربا) أو حتي بين الفقراء والأغنياء فى داخل دولة من الدول.

هناك من يعتقد بإمكانية الوصول إلى نظام عالمى جديد من خلال العولمة لحل المشاكل التى تعاني منها البشرية مثل الانفجار السكاني والهوة الاقتصادية والخلل الاجتماعي، وهذا استنتاج مشكوك فى أمره، والعولمة من حيث المبدأ مفهوم مفعم بالأمل، والتى من خلالها قد تحقق كل الدول تقدما وازدهارا من خلال المشاركة فى السوق العالمية، ولسوء الحظ فإن العولمة فى صورتها الحالية قد فصلت لخدمة مصالح وأهداف القادرين والأقوياء، وبرغم أهميتها بالنسبة للتنافس الخلاق بين الأمم ومن ثم تقدمها وازدهارها، فإنها تخدم تلك الشريحة من العائلة البشرية القادرة على استثمار السوق العالمية والموارد المتاحة، بالإضافة إلى ذلك فإنه لزاما على الأمم أن تهيئ نفسها لدخول بوابة العولمة، ويتطلب ذلك تخطي عقبات اقتصادية وسياسية .

عوائق التقدم

ما هو المطلوب لتخطى العقبات والحواجز التى تحول دون التقدم؟

والإجابة عن هذا السؤال ليست بالأمر الهين، وذلك بسبب العديد من الاعتبارات الاقتصادية والسياسية والتى تشكل جانبا من الصورة الكلية، ومع ذلك فإننى أعتقد أن هناك ضرورات أو نقاطًا رئيسية لإحراز التقدم، والتى يجب على الدول النامية والدول المتقدمة أن تضعها فى الاعتبار، وبالنسبة للدول النامية هناك ثلاثة أهداف رئيسية هى :

١ ـ تنمية الموارد البشرية القومية : ويتطلب هذا الهدف ضرورة القضاء على الأمية ثم تفعيل دور المرأة ومشاركتها فى المجتمع ثم إصلاح التعليم .

٢ ـ إعادة بناء الدستور الوطنى : بما يسمح بحرية الفكر والإبداع والحد من البيروقراطية وتخفيضها إلى الحد الأدنى، وتطوير نظام لتقدير الإنجازات

حق قدرها، وتقديم الدعم المادي والمعنوى لأصحابها، ثم تطوير قوانين جديرة بالثقة والاحترام يمكن تطبيقها على الجميع.

٣ـ بناء القاعدة العلمية: وهذا الهدف الأساسي والأخير بالغ الأهمية بالنسبة للتطور والشراكة العالمية، ومع وجود قاعدة علمية قوية ونظام تعليم متطور وبحوث متقدمة فإنه بالإمكان الارتقاء بالثقافة العلمية وتشجيع وتعزيز التفكير العقلانى وتعليم العامة وتثقيفهم بشأن المنافع الممكنة، وإذا كانت فوائد العلم والتكنولوجيا للمجتمع واضحة جلية، فإن تعليما علميا مناسبا يشيع فى المجتمع ثقافة التفكير العقلانى والأسلوب المنهجى فى العمل يحتل الدرجة نفسها من الأهمية، فإذا غاب كل ذلك امتلأت فجوة كبيرة فى التفكير التحليلى بالجهل وحتي بالعنف والتشدد.

وإذا كان العلم هو العمود الفقرى للتقدم، فإن المعرفة بدورها تصون وتحفظ واحدة من أعظم وأثمن القيم الإنسانية وهى الاستنارة.

والاعتقاد بأن القاعدة العلمية هي من شأن الدول التى تقدمت بالفعل ـ ولأجلها فقط ـ هو اعتقاد خاطئ ومعوق ويشكل عقبة كبرى أمام دول الذين لا يملكون، إن النجاح الحالى فى السوق العالمى لبعض الدول النامية مثل الصين والهند هو نتيجة لتطويرهم لأنظمة تعليمية ومهارات تكنولوجية فى قطاعات معينة، فالهند أصبحت إحدى الدول الرائدة فى البرمجيات، والمنتجات العديدة التى تحمل علامة «صنع فى الصين» انتشرت الآن فى كل أنحاء الدنيا.

وفيما يتعلق بنظرية المؤامرة، فأنا شخصيا لا أعطيها وزنا مهما، مفضلا الاعتقاد بأن الأمم تتفاعل وتتعاون فيما بينها من أجل مصالحها المتبادلة.

وما نحتاج إليه هو قبول مسئولية المشاركة والتعاون بين الدول النامية والدول المتقدمة، وهناك مسئوليات ثلاثة تقع على عاتق الدول المتقدمة هى:

تعديل برامج المعونة : توزع عادة أموال المعونة المقدمة من الدول المتقدمة إلى الدول النامية على العديد من المشروعات (فى أحوال كثيرة توجه المعونة لدعم العسكرى) وعلى الرغم من أن بعض هذه المشروعات تكون ضرورية ومطلوبة على نحو ملح، فإن كثرة المشروعات التى تتضمنها المعونة والافتقار إلى المتابعة الجادة (بالإضافة إلى وجود بعض الفساد فى إدارة هذه المشروعات) كل ذلك يتسبب فى عدم تحقيق نجاحات كبيرة وملموسة، ومن ثم فإن الأمر فى حاجة إلى تعديل فى برامج المعونة حتي يتنسى مساعدة مراكز التفوق لتحقيق رسالتها وفقا للمعايير الراسخة المعمول بها الآن في الدول المتقدمة.

التقليل من الدوافع السياسية في برامج المعونة : إن استخدام برامج المعونة لدعم ومساعدة نظم سياسية أو حكومات أو مجموعات معينة فى العالم النامى يمثل خطأ فادحا، وقد بينت التجارب السابقة أنه من الأفضل والأكثر نفعا أن تساعد الدول المتقدمة شعوب الدول النامية. ويجب أن تكون برامج المعونة بعيدة الرؤية فى تحديد المشاكل الحقيقية للدول النامية التي تقدم لها المعونة، وأن تتخذ الإجراءات الكفيلة لاستثمار طويل الأجل لضمان تنمية حقيقية.

المشاركة فى النجاح : هناك طريقتان لمساعدة الدول النامية : إما أن تقدم الدول المتقدمة الأموال للدول النامية لمساندة ودعم بقاء الاستقرار الاقتصادى والسياسي في هذه الدول أو أن تصبح الدول المتقدمة شريكة للدول النامية وتوفر لها الخبرة المطلوبة وخطة المتابعة، وعندئذ سوف يكون لهذه المشاركة الجادة دور فعال فى إحراز النجاح فى العديد من المجالات التى تهم الدول النامية، وأعتقد أنه يمكن إحراز نجاح حقيقى إذا توافرت الرغبة الصادقة فى المشاركة والتي سوف تعود بالخير على كل الشركاء.

فوائد عالمية Global Returns

ما هى الفائدة التى سوف تعود على الدول الغنية من جراء مساعدتها للدول الفقيرة؟ فعلى المستوي الشخصى هناك مبررات دينية وفلسفية تحض الغني على أن يقدم جزءا من ماله إلى الفقير، فالفضيلة والمبادىء ووقاية الذات، أو الدفاع عن النفس، كل ذلك يحض على مساعدة الإنسان لإخيه الإنسان، أما بالنسبةللدول فإن العون المتبادل يوفر - بجانب قيمته الأخلاقية والإنسانية - الضمان لتعايش سلمي، بالإضافة إلى التعاون من أجل الحفاظ على الأرض ووقايتها، وإذا ما سلمنا بأن العالم أصبح الآن بمثابة قرية وبخاصة في عصر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، فإنه من الواجب أن نوفر الأمان الاجتماعى لغير القادرين فى هذه القرية، وألا نكون قد شجعنا على إندلاع ثورة.

وغنى عن البيان القول بأن حياة إنسانية سليمة ومستدامة تتطلب بالضرورة تعاونا ومشاركة من كافة أعضاء العائلة البشرية، فاستنفاد الأوزون علي سبيل المثال يعد مشكلة ليس بمقدور العالم المتقدم التصدي لهاوعلاجها بمفرده، فليس الذين يملكون هم وحدهم الذين يستخدمون المواد الكيمائية التي ينتج عنها الكلور فلوروكربون (CFC)، وانتقال الأمراض، واستنزاف الموارد الطبيعية وظاهرة الدفيئة (الاحتباس الحرارى) هى ظواهر عالمية، ويتحتم على الذين يملكون والذين لا يملكون أن يبحثوا لها عن حلول، وأن يتدارسوا عواقبها، وأخيرا هناك الاقتصاد العالمي النامي. وتشكل أسواق وموارد الدول النامية مصدرا للثروة والغنى للدول المتقدمة، ومن ثم فمن الحكمة أن تكون هناك علاقات تعاون متبادلة ومتناغمة لأجل نمو اقتصادى متبادل.

ومن الأمثلة القوية بعيدة الرؤية هومشروع مارشال الذى قدمته الولايات

المتحدة إلى أوربا بعد الحرب العالمية الثانية، واستدراكا للخطأ الذى وقع فى أوربا بعد الحرب العالمية الأولى فقد قررت الولايات المتحدة فى سنة ١٩٤٧ أن تساعد في إعمار البنية الأساسية التي دمرتها الحرب، وأن تكون شريكة فى تطوير اقتصاد (وسياسة) أوربا. واليوم فإن دول أوربا الغربية هى دول ثابتة ومستمرة فى تحقيق الرخاء الاقتصادي كما هو الحال للشريك ـ الولايات المتحدة. وقد انفقت الولايات المتحدة نحو ٢٪ من إجمالى إنتاجها القومى على مشروع مارشال خلال الأعوام ١٩٤٨ ـ ١٩٥١. ونسبة مماثلة من الـ ٦,٦ تريليون دولار والتى تمثل إجمالى الناتج القومى للولايات المتحدة فى عام ١٩٩٤ والتى تصل إلى ١٣٠ بليون دولار (تبلغ تقريبًا عشرة أمثال الخمسة عشر بليون دولار والتى تنفق سنويا على برامج المساعدات الخارجية غير العسكرية) وأكثر من ٢٨٠ مرة من الـ ٣٥٢ مليون دولار والتى أنفقتها الولايات المتحدة على كل برامج المساعدات لما وراء البحار فى عام ١٩٩١. أن مشروع مارشال بسخائه ورعايته الفائقة أدى إلى قصة نجاح عظيمة. وإنى اتصور إمكانية تنفيذ مثل هذا المشروع من جديد فى فلسطين لبناء شرق أوسط مسالم ومزدهر، ولأجل إفريقيا وأمريكا اللاتينية أيضًا.

أما أكثر ما يكون نفعا للعالم المتقدم من جراء مساعداته للدول النامية لتصبح فى مستوى عال من التقدم هى أن تصبح جزءا من النظام العالمى الجديد والسوق العالمى. ولقد أدركت بعض الدول المتقدمة أهمية المشاركة وخاصة مع دول الجوار. وهناك محاولات تبذل مع هذه الدول لإيجاد طرق جديدة لدعم وتبادل الخبرات كما هو الحال بين الولايات المتحدة والمكسيك، ودول غرب أوربا وشرقها. الجدير بالذكر أن نمو وتقدم الاقتصاد الإسبانى هو ثمرة للمشاركة بين دول أوربا الغربية. وللأسباب نفسها فإنه من الأفضل والمهم للدول النامية أن تحدد وبجدية المسائل المتعلقة بالتقدم، ليس من خلال

الشعارات ولكن بالرعاية والتعهد وبالإرادة وحسن استغلال الموارد لإحراز تقدم حقيقى لتتبوأ مكانة لائقة على خريطة العالم المتقدم.

بناء الجسور

إن بناء الجسور، جسور التواصل، بين الثقافات والأمم ليس بالأمر الهين، غير أن أحوال العالم الحديث لا تسمح لأية ثقافة أو أمة من الأمم أن تظل بمعزل عن الآخرين، وفى هذا القرن فإننا محظوظون فى امتلاكنا لوسائل بناء هذه الجسور وقابلية التحرك لتعلم الثقافات الأخرى والاتصال مع الآخرين من بنى جنسنا، والذى من شأنه أن يعزز مبدأ التسامح وقبول الآخر من أصحاب الثقافات والديانات الأخرى. ولعل تجربتى الشخصية مثال مناسب يؤيد ذلك، فأنا «مزدوج الثقافة»، وبحلول عيد ميلادى الخمسين، كنت قد أمضيت أو قضيت فترات متساوية تقريبًا من عمرى فى مصر والولايات المتحدة، أى فى أحضان ثقافة الشرق وثقافة الغرب.

وإنى أعتبر نفسى محظوظا فى كونى ثريًا فى هاتين الثقافتين أو بهما، دون أى تعارض فى أن أتلقى تعليمى فى واحدة من هاتين الثقافتين وأشارك وأضيف إلى المعارف الإنسانية فى الثقافة الأخرى، وأن أغرس وأرعى التقاليد الشرقية فى المجتمع الغربى، وأساعد وأسهل عملية التفاعل والتحاور بين الشرق والغرب، وهذه أمور ليست بجديدة فى التاريخ وعليه، وعلينا أن نتصور أن مثل ذلك الشىء قد حدث بالفعل عندما كانت الإسكندرية، والتى تلقيت فيها تعليمى الجامعى، منارة العلم والمعرفة وتاجهما بمكتبتها الشهيرة Bibliotheca Alexandrina منذ أكثر من ألفين من السنين مضت والتى جلبت الغرب إلى الشرق.

والعلم هو ثقافة عالمية، وفى صورته العظيمة فإن هذه العالمية توحد العلماء

فى بحثهم عن الحقيقة مهما كانت أصولهم وأعراقهم أو خلفياتهم الاجتماعية والثقافية، وحينما أتأمل أو ألتفت بأفكارى إلى أن أصل «علم الزمن والمادة»، والذى يشكل موضوعا رئيسيا فى أبحاثنا فى جامعة كالتك، فإنى أجد حوارا حقيقيا، فالحضارة المصرية، والتى جئت منها وأنتمى إليها، كانت أول من أدخل التقويم الفلكى فى نحو عام ٤٢٤٠ قبل الميلاد، وقدر المصريون القدماء بدقة عدد أيام السنة، وفى عام ١٥٠٠ قبل الميلاد قسموا اليوم إلى ساعات، وقد توصلوا إلى تلك الإنجازات من خلال رصدهم لنجم الشعرى اليمانية، أشد نجوم السماء لمعانا، وأدخلوا تكنولوجيا صناعة الساعات الشمسية.

وقد أعطت الحضارة الأمريكية الغربية، والتى أعيش فيها، العالم الحالي زمن الفمتو ثانية - والفمتوثانية هى جزء من مليون بليون جزء من الثانية، وهى السرعة المتطلبة لرصد الذرات وهى فى حالة حركة، ويرجع مفهوم الذرة، والتى ظلت غير مرئية لعهد قريب، إلى الفيلسوف اليونانى ديمقريط منذ نحو ٢٥ قرنا من الزمان مضت، فما أروع وأعظم تلك الحضارات المتباينة فى ثقافتها وأزمانها، والتى أعطت من خلال العلم، منافع جمة لكافة الجنس البشرى، إنها التقاليد العقلانية فى حالة العلم هذه، والتى يسرت بناء الجسور طوال آلاف السنين.

إن تعقد الشئون الدولية هو شيء حقيقى، وليس بمقدور أحد أن يدعى بوجود حلول واضحة لكل المشاكل العالمية، وسواء بسبب ماضيهم المجيد أو وضعهم الجغرافى وثرائهم الثقافى المعاصر فإن لكل الدول دورًا مهمًا فى المساعدة فى حل المشاكل العالمية، وبصفتها القوة العظمى الوحيدة فى عالم اليوم، فإن للولايات المتحدة دورًا خاصًا بسبب قوتها الاقتصادية والعلمية والعسكرية، إلا أن كل الدول مجتمعة عليها مسئوليات تجاه التعايش السلمى ولأجله، فى هذا العالم.

ويحتم الواجب على الدولة الأقوى على سطح الأرض أن تلعب دورا قياديا فى مقاومة العنف وذلك بالتعاون مع المجتمع الدولى بأسره، وإلا تفقد رؤيتها تجاه دورها القيادى فى العمل من أجل صيانة حقوق الإنسان، وفى تضييق الهوة الفاصلة بين الأغنياء والفقراء، بين الذين يملكون والذين لا يملكون. وعلى الولايات المتحدة المسئولية الريادية، ولديها الفرصة لتصبح الكرة الأرضية عالما متحدا وأن تجعل الناس فى كل أنحاء الدنيا يتعاملون مع بعضهم البعض كأعضاء فى العائلة البشرية. وإنى أتذكر بحماسة وانتعاش الصورة الأمريكية فى الستينيات من القرن الماضى، إنه الإنسان الذاهب إلى القمر من أجل خير ورفعة الإنسانية جمعاء، وأذكر ما قاله نيل أرمستروبخ فى أول كلماته التى نطق بها فى لحظة هبوطه على سطح القمر «إنها خطوة صغيرة لإنسان ولكنها قفزة هائلة للجنس البشرى». ومشروع مارشال وكتيبه السلام يعدان نموذجان للمبادرات المثالية الخلافة والتى مثلت الرؤية الأمريكية فى أعمالها العظيمة لصالح البشرية.

وفى حقيقة الأمر فإنه ليس بمقدور الولايات المتحدة أن تحل كل مشكلة فى العالم، غير أنه بوصفها أقوى دولة فى العالم يجب أن تؤدى دورها كقائد ونموذج وأن تتحمل مسئولياتها. وكثير من الناس فى أنحاء العالم يحترمون مبادىء دستور الولايات المتحدة ويرغبون فى أن يتمتعوا بنفس القدر من الحرية والفرص المعهودة فى النظام الأمريكى. ويمكن أن تصبح أمريكا شريكا حقيقيا وتساعد فى حل الكثير من المشاكل حول العالم. وقد عبر زبجنيو برزيزنسكى Zbigniew Brzezinski عن حقيقة الوضع الأمريكى بقوله «تقف أمريكا وسط عالم متشابك استغلت فيه القوة فى مساومات وحوارات مستمرة وفى البحث عن إجماع عالمى، برغم أن تلك القوة تنبع أساسا من مصدر واحد هو واشنطن».

وإذا ما كان التاريخ هو بمثابة سلسلة من العمليات التطورية المترابطة كما يحاول ويزعم فرنسيس فوكامايا، فإن الديمقراطية الليبرالية قد تشكل نقطة النهاية فى التطور الإيديولوجى للجنس البشرى، والصورة النهائية لنظام الحكم، ومن ثم «نهاية التاريخ» ويدعم هذا الزعم نجاح النظام الاقتصادى (السوق الحرة) والانتشار الناجح لهذا النظام (الديمقراطى) على حساب الإيديولوجيات المنافسة مثل الملكية الوراثية والفاشية والشيوعية، وهذا رأى مثير للمناقشة والجدل، لأن كثيرا من الناس يعتقدون أن نموذج الديمقراطية الغربية ليس هو النموذج القابل للتطبيق فى بقية أنحاء العالم، فقد تكون هناك صور ونماذج أخرى (بما فيها النماذج التوافقية أى التى يمكن تأليفها من عدة نماذج) من أنظمة الحكم الديمقراطى التى تلائم الثقافات المختلفة، ومع ذلك، وأيا كانت طبيعة نظام الحكم، فإنى أعتقد أن الحرية والقيم الإنسانية، والتى تعد مبادىء أساسية فى الديمقراطية، هى شىء أساسى لقفزات من التقدم وللاستخدام الأفضل للموارد البشرية، ويجب أن تصدر هذه المبادىء لدول عالم الذين لا يملكون، ولكن مع تفهم الفوارق الثقافية والدينية ومن غير سيطرة أو إكراه.

وفى النهاية فإنه بقوة الإيمان والمعرفة، يمكننا أن نكشف عن الجوهر الحقيقى لوعينا المتفرد كآدميين، وأهمية وحدتنا الوراثية (الجينية) برغم تعدد السلالات والثقافات أو الديانات، ثم حاجتنا لتقدير القيم الإنسانية المترابطة حق قدرها، وغنى عن البيان أن الجهل هو أكبر أعداء الطموح الإنسانى، سواء ظهر هذا الجهل فى مفاهيم وآراء خاطئة عن الدين، أو آراء مشوهة عن شعوب وأناس آخرين، أو الفشل فى إدراك أهمية المعارف والتكنولوجيا الجديدة، أو سوء فهم فيما يتعلق بالصحة والأمراض. . فالجهل مصدر البؤس والشقاء لكل الناس دون جدال.

نحن فى هذا العالم فى حاجة لإقامة الجسور بين البشر وبين الثقافات، وبين الأمم، وحتى وإن لم نتفق فى بعض القضايا، فإن هذه الجسور سوف تساعدنا على الإدراك والتسليم بأننا جميعا نعيش فى كوكب واحد، وإن لنا أهدافا واهتمامات مشتركة من أجل التعايش السلمى، ومفتاح الحل هو فى عدم تجاهل الذين لا يملكون، وأيضًا فى عدم تجاهل المناطق المحبطة والمثقلة بالمشاكل، فالفقر والإحباط أو فقدان الأمل هما مصدران للإرهاب والتمزق فى النظام العالمى. وبناء الجسور والاتصالات على نحو أفضل سوف يقلل من انقسام العالم إلى «نحن» و«الآخرين».

ينبغى ألا ندع الحواجز تتكون من خلال شعارات من قبيل «صدام الحضارات» أو «صراع الأديان» ـ فالمستقبل يكون فى الحوار وليس فى الصراع أو الصدام. نحن فى أمس الحاجة لقادة مستنيرى الرؤى يصنعون التاريخ وليس قادة يكون تصورهم أو رؤيتهم نهاية التاريخ.

ملاحظات

1 - Some parts of address are based on presentations I have made in published papers in Nature (London), Proceedings of the Pontifical Academy of Sciences (Rome), and in Voyage Through Time: Walks of Life to the Nobel prize (The American University in Cairo Press, 2002). Acknowledgments are given in the original manuscript.

2 - Samuel Huntington, The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order (New York: Simon & Schuster, 1996); idem, "Keynote Address: Colorado College's 125th Anniversary Symposium: Cultures in the 21st Century: Conflicts and Convergences," February 4, 1999; Francis Fukuyama, The End of History and the Last Man (New York: Avon Books, 1992).

3 - See: Karen Armstrong, A History of God: The 4000 - Year Quest of Judaism, Christianity and Islam (New York: Ballantine Books, 1993).

4 - Bernard Lewis, What Went Wrong? Western Impact and Middle Eastern Response (New York: Oxford University Press, 2002).

5 - Joel E. Cohen, How Many People Can the Earth Support? (New York: Norton & Co., 1995).

6 - Ahmed Zewail, The Future of Our World, in Einstein - Peace Now! Visions and Ideas, (Eds.) R. Braun and D. Krieger (Wiley - VCH, 2005, p. 109): based on the 5th U Thant Distinguished Lecture, United Nations University, Tokyo, 15 April 2003.

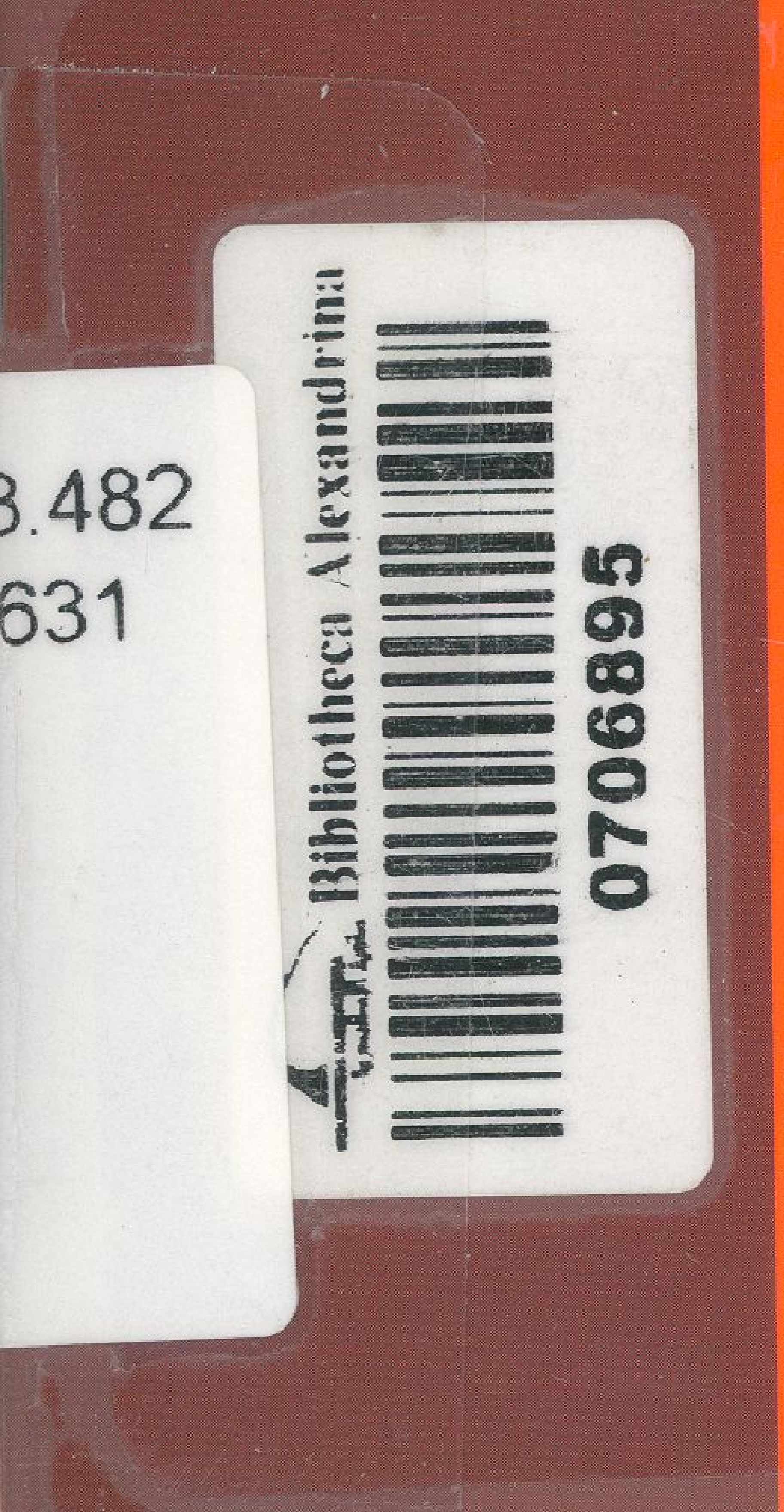
7 - Ahmed Zewail, Voyage Through Time: Walks of Life to the Nobel Prize (The American University in Cairo Press, 2002), translated to French, German, Spanish, Chinese, Russian, Korean, and Arabic (appeared, so far, in 12 languages and editions).

8 - Zbigniew Brzezinski, The Grand Chessboard: American Primacy and its Geostrategic Imperatives (New York: Basic Books, 1997).

رقم الإيداع ٢٤٥٧١/٢٠٠٧
الترقيم الدولى ISBN 977 - 09 - 1929 - 2

مطابع الشروق

القاهرة: ٨ شارع سيبويه المصرى ـ ت: ٤٠٢٣٣٩٩ ـ فاكس: ٤٠٣٧٥٦٧ (٢)
بيروت: ص.ب: ٨٠٦٤ ـ هاتف: ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٢١٣ ـ فاكس: ٨١٧٧٦٥(٠١)





دار الشروق
www.shorouk.com